

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف الانبياء والمرسلين
نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

قال الله تعالى: وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (43) (سورة الشورى)

شرح الكلمات:

ولمن صبر وغفر: أي ولمن صبر فلم ينتصر لنفسه وغفر وتجاوز عمن
أساء إليه.

إن ذلك: أي ذلك الصبر والتجاوز عن المسيء.

لمن عزم الأمور: أي لمن معزومات الأمور المطلوبة شرعا.

المعنى الاجمالي :

قوله تعالى: {وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} يخبر تعالى
مؤكدًا الخبر بلام الابتداء أن من صبر فلم ينتصر لنفسه من أخيه المسلم
وغفر لأخيه زلته فتجاوز له عنها فإن ذلك المذكور من الصبر والتجاوز
من معزومات الأمور المطلوبة شرعا.

{وَلَمَنْ صَبَرَ} على ما يناله من أذى الخلق {وَوَغَفَرَ} لهم، بأن سمح لهم
عما يصدر منهم، {إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} أي: لمن الأمور التي
حث الله عليها وأكدها، وأخبر أنه لا يلقيها إلا أهل الصبر والخطوط
العظيمة، ومن الأمور التي لا يوفق لها إلا أولو العزائم والهمم، وذوو
الألباب والبصائر.

فإن ترك الانتصار للنفس بالقول أو الفعل، من أشق شيء عليها،
والصبر على الأذى، والصفح عنه، ومغفرته، ومقابلته بالإحسان، أشق
وأشق، ولكنه يسير على من يسره الله عليه، وجاهد نفسه على
الاتصاف به، واستعان الله على ذلك، ثم إذا ذاق العبد حلاوته، ووجد
آثاره، تلقاه برحب الصدر، وسعة الخلق، والتلذذ فيه.

ومن يستعرض سير الأنبياء والصالحين، يجد أنهم ما بلغوا مراتب الكمال من
العلم والإيمان إلا بصدقهم وبغفورهم وصفحهم، وهو أرفع من العفو؛ لأنه
بلا معاتبة، وإن من أخلاقهم وصفاتهم العفو عمن أساء إليهم قولاً وفعلًا،
وأنهم أعطوا دروساً في التربية الحقة على معاني الأخلاق الفاضلة السامية.
إن المسلمين أحوج ما يكونون اليوم إلى إظهار ساحة الإسلام وفق مبادئه،
والتعريف بمبادئه السمحة .

ومما يعين المسلم على مقابلة السوء بالإحسان والمغفرة ما يلي:

1- على المسلم أن يتخلق بمقتضى صفات الله وأسمائه، فالله يتجنب إلى
عباده بالبر والإحسان، والمغفرة، وهم يقابلونه بالمعاصي، وعدم شكر النعمة.
2- أن يعلم العبد أن ما يُصيبه من ذلك إنما هو بسبب ذنوبه، فليُشب
وليستغفر، وقد قال بعض الصالحين: "إني لأعصي الله، فأرى ذلك في خلق
دايتي وامرأتي".

3- أن يتعوّد المحسن عدم انتظار الشكر من أحد، فالخلق لا ينفعونه، ولا
يضرّونه، بل الأمر لله وحده

4- أن يعلم ما للإحسان إلى المسيء من عظيم الثواب والعاقبة
الحسنة في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا ما يحصل للمحسن من لذة
الإيمان، وسعة الصدر وانسراحه، وسلامة القلب من الأحقاد
الشخصية. وفي العقبى أخبر المولى ما للمحسن من عظيم الأجر
والمكرمة؛ فقال: {وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ
وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَئِكَ هُمُ
غَفَى الدَّارِ} [الرعد: 22].

**الوصول إلى هذه المرتبة من الحلم والصبر وسلامة الصدر على العبد أن ينظر
إلى عدة أمور:**

الأول: القدر وإن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأن ما
أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

الثاني: التحلي بالصبر ولتأمل ما أعدّه الله للصابرين عن
حسن العاقبة وموفور الجزاء، ولن ينال ذلك إلا بالصبر. كما
قال ابن القيم رحمه الله: "وعلم أنه إن لم يصبر اختياراً على
هذا وهو محمود، صبر اضطراراً على أكبر منه وهو مذموم".

الثالثة: عاقبة العفو والصفح والحلم.

الرابع: أن يرضى بما أصابه، وهذا فوق ما قبله، وهذه منزلة عظيمة لا
ينالها إلا أصحاب الهمم العالية، ولا سيما إن كان ما نالها كان السبب
القيام بحق الله تعالى.

الخامس: مقابلة الإساءة بالإحسان، فكلما أساء إليه الخلق أحسن إليهم،
وليستشعر العبد أنه بهذا الإحسان يزيد إليهم شيئاً من إحسانهم إليه
يهدأ بهم إياه حسناتهم وأجورهم! وهذا مما يجعل الأمر يهون على العبد،
فيعلم أنه يكافئهم على ما أهدوه إليه من عظيم الأجر، وما تحملوا عنه
من عظيم الوزر

السادس: سلامة الصدر، فلا يشغل قلبه بما لا يعنيه، وليعلم أنه كما
اشتغل العبد بشيء من هذه الأمور فاته ما هو أهم وأنفع له من الإقبال
على الله ورجاء ثوابه. قال ابن القيم رحمه الله "وهذا مشهد شريف جداً
لمن عرفه وذاق حلاوته".

السابع: حصول الأمن، فالعفو والحلم يقتلعان العداوة ويقضيان عليها،
بخلاف الانتقام الذي يزيد بها ويشعلها، فتزور العداوات وتزداد الضغائن،
فلا يأمن العبد عندها من مباغتة عدوه.

الثامن: دفع ثمن البيعة، فالؤمن قد عقد الصفقة مع الله: {إِنَّ اللَّهَ
اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ}.

التاسع: عظيم المنّة في هذه النعمة، وذلك يظهر من وجوه:

1- كونه جعل مظلوماً يرجو من الله النصر، ولم يكن ظالماً ينتظر من الله
البطش والعقوبة.

2- التكفير من خطايا وذنوبه، فما يصيب العبد من شيء حتى الشوكة
يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياها".

3- أن يحمد الله أنما لم تكن في دينه، وينظر إلى ما هو أعظم منها.

4- أن يدخر جزاءها عند الله تعالى في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون، في
يوم هو في أمس الحاجة إلى حسنة ينجيها الله بها يوم القيامة.

العاشر: أن يتأسى بمن سبقه من الأنبياء والرسل والأولياء الذين هم من
أفضل الخلق، ومع ذلك كانوا أشد الناس بلاء، فليتأس بهم ليهون عليه
ما ناله مما لا يساوي شيئاً مع ما وقع عليه من أذى.

الفوائد:

- 1- لا سبيل إلى معاقبة من انتصر لنفسه بعد ظلمه.
- 2- فضيلة الصبر والتجاوز عن المسلم إذا أساء بقول أو عمل.
- 3- لا تدعوا على من أساء إليك بل قابل الإساءة بالعفو و الصّحح حتى تنال الأجر من الله.
- 4- إن على المرء أن يقول الأحسن ولا يسيء لأحد في قول أو فعل، قال تعالى آمراً عباده بأن يقولوا التي هي أحسن: {وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا} (53) سورة الإسراء.
- 5- إن الموقف لمقابلة الإساءة بالإحسان قد منحه الله صبراً على ما تكرهه النفس، وذلك لإجبارها على ما يحبّه الله ويرضاه. وجاء الحثُّ والتأكيد على هذا الخلق الكريم؛ لأن بعض الناس يقابلون الإساءة بالإساءة وعدم العفو فكيف بالإحسان!!.
- 6- إن من أضرار مقابلة الإساءة بالإساءة أن تزداد العداوة والبغضاء ويزداد الأمر تعقيداً،
- 7- من أحسن ما يستعين به المسلم على نفسه فيما يصيبه ، مما يصيبه من أذى الناس وإساءتهم ، أن يتذكر تفریطه في جنب الله تعالى ، وحبّه لعفو الله عنه ، وسره عليه.
- 8- الصبر على أذى الخلق من علامات قوة الإيمان، فقد قال تعالى: **وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ** [الشورى: 43].
- 9- أن الصبر على الأذى وكظم الغيظ والحلم والعفو عند المقدرة هي أخلاق أنبياء الله وصفوته من خلقه ومن تبعهم من أوليائه المخلصين الصادقين الذين رفع الله مكانتهم وأعلى قدرهم.
- 10- قد يعترض الإنسان من محن وأذى من بعض جيرانه وأقاربه وبعض من حوله من الناس. وقد يصل بعضها إلى حد الظلم ومع أنه موعود من الله بالإجابة إذا دعا على من ظلمه إلا أنه لو صبر واحتسب في ذلك الأجر من الله ودعا لهم لكان خيراً له وقد يتغير حال من ظلمه فيكون أيضاً خيراً على خير. والصبر على أذى الناس من عزم الأمور.

- 11- كيف تصبر على أذى الناس؟ قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في الوصية الصغرى: * أن يعلم أنه إذا اشتغلت نفسه بالانتقام وطلب المقابلة؛ ضاع عليه زمانه، وتفرّق عليه قلبه، وفاته من مصالحه ما لا يمكن استدراكه، ولعلّ هذا أعظم عليه من المصيبة التي نالته من جهتهم فإذا عفا وصفح؛ فرغ قلبه وجسمه لمصلحه التي هي أهمُّ عنده من الانتقام.
 - 12- ينبغي للمسلم التحلي بصفة الحلم والصبر على أذى الناس والتأسي بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم فقد نال ولقي من الأذى الشيء الكثير وما انتقم لنفسه في شيء بل كان حليماً صبوراً على الأذى وما غضب على شيء إلا بشيء لله.
 - 13- الصبر سمة رسل الله وأنبيائه وعباده المؤمنين، وعن طريقه يظهر الفرق بين ذوي العزائم والمهم وذوي الجبن والضعف والخور.
 - 14- الصبر على الظلم أصعب من الصبر على الطعام، مع أنه يجوز للمظلوم الدعاء على ظالمه إذا تيقن دون شك أنه مظلوم بالفعل، ففي السنة الشريفة «اتقوا دعوة المظلوم وإن كان كافراً فإنه ليس دونها حجاب» صحيح الجامع.
 - 15- إن العفو عن المسيء من أفضل الصفات التي يجب على المسلم أن يتحلى بها، ولو علمنا ما في العفو من حكمة وسلامة وأجر، لأسرعنا بالعفو والصفح عن زلات المسيئين .
 - 16- إن الأخلاق الإسلامية المتمثلة في العفو والسماحة الإنسانية تجاه البشرية كلها شكلت سبباً رئيساً بفضل الله لدخول الناس في دين الله أفواجا ، كما أنه لا يمكن لمنصف من البشر مهما كان أن ينكر هذه الصفات الكريمة ، فهي تحث على تألف الأجناس، وإشاعة التراحم والمودة بين الناس، والتأدب بالآداب الإسلامية، ونبذ الحقد والحسد والتباغض، ليتحقق العفو والتسامح و العدل والإنصاف بين بني البشر.
 - 17- على القريب أن يتسامح مع أقرائه، والجار أن يعفو عن جاره، والصديق أن يحلم على صديقه، وأن نردد جميعاً قول الله سبحانه تعالى في كل وقت: {وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} (10).
- والله اعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور

سلسلة تفسير القرآن العظيم الإصدار رقم (368)



هذا هو الحق



قوله من تفسير سورة الشورى الآية 43

تهدى ولا تباع

ولا تنسوننا من صالح دعائكم

أعدّها عزمي إبراهيم عزيز